المحاضرة السادسة

الترجمة والتعريب

1. التعريب: مفهومه ودواعيه:

1.1. التعريب لغة:

التعريب هو مصدر (عرّب)، أيْ هذّبه من اللّحن، والإعراب هو الإبانة على المعاني بالألفاظ، فيقال:" عرّبت له الكلام تعريباً". والتعريب كما قال "ابن الاعرابي" هو التبيين والإيضاح.

وقال "الأزهريّ" الإعراب والتعريب معناهما هو التبيين والإيضاح والإفصاح.

فالتعريب ظاهرة لُغوية قديمة اكتسب دلالة جديدة، بمعنى اللّفظ الأجنبيّ الذي غيّره العرب فيصبح عربياً، يقول الجواليقي:" إنّ الاسم يكون أعجمياً، فتعرّبه العرب فيصبح عربياً".

2.1. التعريب اصطلاحا:

يأخذ مصطلح (التعريب) في المعجمات اللّغوية العربية مدلولات مختلفة، إذْ عرّفه ابن منظور في قوله:" وهو أن يتفوّه العرب بالكلمة الأعجمية على مناهجها"، بمعنى إدخال اللّفظ الأعجمي ضمن المعجم العربيّ، فيُصقل في قوالب الأوزان العربية، فيخضع لقواعدها وأبنيتها، فيشتق على الطريقة التي يُشتق بها اللّفظ العربيّ الأصيل، مثال: هندس، يهندس، هندسة، مهندس، هندسي، هندسات....

كما يأخذ دلالة أخرى، بمعنى إيجاد مقابلات عربية للألفاظ الأعجمية (و هو التعريف الشائع)، ويدخل ضمن هذا النطاق تعريب العلوم وتعريب الكتابة والتأليف باللّغة العربية.

وعليه، "فإنّ التعريب ضربان، ضرب يتوخى القالب العربي والقياس عليه والثاني يكون فيه المعرّب على أصله لا يجري على القوالب والصيغ العربية، فيظل على عجميته. وإنّ الأول هو المستساغ وهو الذي يكتب له البقاء وينصهر في اللّغة وكأنّه منها. أما النوع الثاني فهو مؤقت بطبيعته لأنّه جسم غريب ينتظر أن يأتي مصطلح أصيل يستبدل به ويتبوّأ دلالته".

2. دواعي التعريب (الحاجة والضرورة):

إنّ الحاجة والضرورة للتعريب هي نتيجة حتمية لجملة من العوامل المعروفة في طليعتها اختلاط البشر والتقاء اللّغات والتبادل التجاري والحضاري والثقافي بشكل عام، عندما نأخذ مهارة أو ملكة صناعية من أمم أخرى نأخذ معها أسماءها الأجنبية كما هي، ومن ثمة نحاول إيجاد الصيغة القريبة لها والمألوفة في اللّغة العربية، وهنا نقول إنّ الحاجة حقيقية وضرورية، كما أنّهم كانوا يعيرون إيثارا للألطف من الألفاظ.

إنّ ضرورة التعريب قومية ولغوية لأنّه تعبير عن استمرار اللّغة في أداء وظيفتها على الصعيد العلمي، لخلق الثقة لدى العالم العربي بقدرة لغته على الأداء العلمي والأدبي ولاستمرارها في عملية التجدّد والخلق اللّغوي في مجال المصطلح العلمي والشرح المفهوم. ولا ينكر أحد حاجة اللغة العربية للتجديد، فيعاد بناء الرموز والألفاظ بما يتفق مع المكتشفات الجديدة، وليست هناك لغة حية لا تحتاج للتجديد.

إنّ استعارة العربية للدخيل كان نتيجة كثرة المسميات المتصلة بالأمور المادية والصناعية خاصة، فقد دخلت اللّغة العربية ألفاظا من مختلف اللّغات وفي مناسبات وأزمنة ولغايات وأغراض شتى، كذلك لا يمكن إغفال ظاهرة الميل إلى استعمال الدخيل أكثر من الأصيل في اللّغة، وقد نجد هذا الميل مربوطا بجملة من الأسباب نذكر منها:

- سبب لغوي لفظي يتصل بالكلمة من خفة وجرس ووقع أو قبول وذيوعها بين الناس.
- سبب اجتماعي له صلة بطبيعة العلاقات المتبادلة بين العرب والأقوام الأخرى واستخدامها كوسيلة إيصال أسرع وأجدى في التعامل والتفاهم.
- ربما كان التلفظ الأجنبي عند بعض الناس محل مباهاة تزين لهم سعة المعرفة والاطلاع وتجعل منهم محل إعجاب وموقع ثقة وإنصات.
- حركة تجديد الأشياء وقيمتها بتجديد مسمياتها ووقعها في الأسماع يضفي عليها حيوية وابتكارا على حياة الإنسان واللّغة.

3. مفهوم الترجمة

1.3.الترجمة عند العرب

لقد اتّجهت جميع المعاجم العربية القديمة، وجهة واحدة في تعريف الترجمة (traduction)، فاستخدمت الفعل "ترجم" بمفهومه الواسع، حيث جاء في لسان العرب لابن منظور: "يترجم الكلام أي ينقله

من لغة إلى لغة أخرى، والشخص يسمّى الترجمان، وهو الذي يُفسّر الكلام"، أما في قاموس المحيط للفيروز بادي: "فالترجمان هو المفسّر، وترجمه ترجم عنه".

فمن خلال هذين التعريفين يتّضح لنا أنّ مفهوم الترجمة جاء بمعنى الإبانة والإيضاح والتفسير والنقل من لغة إلى أخرى، أيْ شرح ما يقوله ويكتبه الآخر من لغة أخرى إلى لغة المتلقّي أو المستمع وتفسيره ، كما تعدّ الترجمة شكلاً من أشكال التواصل، فهي "عملية حوار بين لغتين، بالإضافة إلى كونها حواراً بين ثقافتين، ويؤدّي كل حوار فعّال إلى تغيير في مواقف المتحاورين وتبديلها وتعديلها ، ولهذا فإنه ينتج عن حوار الترجمة، بين لغتين تغيير في مفاهيم اللّغة المنقول منها، وتطوير اللّغة المنقول إليها، في مفرداتها وتراكيبها ودلالاتها وأساليبها، بالإضافة إلى استيعابها مفاهيم جديدة"، فهي بهذا تُحقّق وظيفة التفاعل الثقافي والحضاري والتلاقح بين اللّغة المنقول منها واللّغة المنقول إليها من الناحية الصّوتية، الصرفية، التركيبية والدّلالية، بهذا تبدو الترجمة "وليدة حاجات التواصل، ولكي تتم هذه العملية فإنّه ينبغي التّمكن من لغتين على الأقل اللّغة المصدر (langue source) أي اللّغة المنقول منها واللّغة الهدف (langue cible) أي اللّغة المنقول إليها، ومن هنا يمكن أن نقول إن الترجمة هي نتيجة لغتين، سواءً كان لأغراض وظيفية أم لأغراض علمية حضارية، ولا تتم عملية الاحتكاك إلاّ في إطار تواصلي، لأن الاتصال والتواصل يدفع إلى الترجمة"، فعدم تمكن المترجم من ناصية اللّغتين تستحيل عليه عملية الترجمة، "إذْ يشرح للسّامع أو القارئ كلاما في لغة لا يفهمها، أيْ إلى الإبلاغ والبيان والإفهام، ولذلك فهي تخضع لما يخضع له التواصل اللّغوي عامة من شروط وملابسات. فهي تتطلّب مثله طرفين هما الترجمان والمترجم له، ونص البلاغ وهو الوساطة بينهما ثمّ السّنن أو القوانين (code) التي يشترك فيها الطرفان مبدئيا لكي تتم عملية التواصل أو الإبلاغ ومن بينها القانون اللّغوي (code linguistique)".

من هنا يتجلّى لنا، أنّ عملية الترجمة هي عملية مركّبة ومعقّدة، بحيث تجمع بين ما هو لغوي وما هو غير لغوي (ما وراء اللّغة) أي السّياق الثقافي والحضاري الذي يرد فيه نص البلاغ، والذي يجب أن يكون على درايته وتمكن بالنص المراد ترجمته والقارئ الذي يتلقّى ذلك النص المترجم ومع مراعاة السّياق الذي يرد فيه، والقانون اللّغوي الذي تتم بواسطته عملية التواصل.

أمّا فيما يتعلّق بالأفكار التي ينقلها المترجم فهي لا تعود إلى المترجم بل إلى منشئ النص "إذْ يقوم بتفسير فكرة مصوغة من قبل غيره ضمن لغة أخرى، وليس عليه ألا يفتش عن هذه الفكرة في أيّ مكان بل كل ما يترتّب عليه أن ينقلها بلغة أخرى"، فما على المترجم إلاّ نقل ما يقوله المؤلّف وليس شرح ما يقصده، حيث يبحث من جهة عن محتوى النص الذي يترجمه وما يحويه من معاني ودلالات وكيفية صياغته له، وما يتضمّنه من تراكيب نحوية وأساليب لغوية، باعتبار "الترجمة ليست نقلاً بسيطاً للنص أو مرآة عاكسة

له، أو استنباطًا محضاً لمضمونه، وإنّما هي إعادة إنتاج النص وتجديده وتحويله وتطويره حسب قدرات المترجم، لأنّها ترتبط بفهم المترجم للنص وتأويله له وتطويعه اللّغة المتلقيّة، لاستيعاب مفاهيم النص ودلالته، فالترجمة عملية حوار بين المؤلّف الذي أنتج النص الأصلي وبين المترجم الذي يعيد إنتاجه على الرّغم من بعد الشقة الزمنية أو المكانية بينهما"، فالترجمة "هي عملية تحويل الكلام من لسان إلى آخر مع المحافظة على المعنى".

إنّ عملية الانتقال هذه من اللّغة المصدر إلى اللّغة الهدف مع الإبقاء بنفس المعنى، هو ما يُحقّق مفهوم الترجمة، لذا تعتبر الترجمة عملية مزدوجة تقوم على إنشاء المحدّدات الشكلية والمحدّدات المضمونية، أيْ مراعاة الجانب الشكلي اللّغوي المتمثل في الصّيغ والتراكيب ونظام الكتابة ومراعاة الجانب الدّلالي أي معاني النص المُراد ترجمته ومضامينه حيث يكون النص المترجم مكافئًا للنص الأصلي وصورة عنه. وعليه، يتبيّن لنا دور الترجمة الفعّال في تحقيق التواصل اللّغوي والثّقافي والاجتماعي، فهي ليست عملاً مصطلحيًا ولسانياً فحسب، بل هي اتصال اجتماعي يقوم على نظامين لسانيين اجتماعيين وعلى ثقافتين مختلفتين، "فاللّغة بأهلها والترجمة مدد لها لأنّها صورة من صور حيويتها ساعة تختلط باللّغات الإنسانية الأخرى".

وإذا ما رجعنا إلى **تراثنا العربي القديم**، فإنّنا نجده زاخرًا بأعمال ترجمية عديدة، بدأت مع عصر صدر الإسلام، والذي نشطت خلاله عملية الدعوة إلى نشر الإسلام خارج حدود شبه الجزيرة العربية في حين في عهد بني أمّية، اهتم معاوية بني أبي سفيان بترجمة الدواوين من أجل تعريب نظام الحكم، أمّا العصر العبّاسي فلقد شهد حركة ترجمة نشيطة وذلك بوفود الأجانب إلى شبه الجزيرة العربية واحتكاك العرب بهم، فنقلت كتب الطب والهندسة والفنون والفلك وغيرها... من العلوم من اليونانية والفارسية إلى اللّغة العربية، وكذا تأسيس الخليفة المأمون "لبيت الحكمة" الذي كان منبعاً للعلوم والمعرفة، وكان أول مجمع علمي عرفته الأمم، والذي تُرجمت فيه العديد من الكتب في شتى المعارف كالطب والفلسفة والفلك والرّياضيات وغيرها...

فلقد تطوّرت حركة الترجمة– في تلك الفترة– تطوّرا كبيرا، ولكنّها لم ترق إلى درجة التنظير، فكانت عبارة عن أفكار متشتتة لا ترقى بشكل من الأشكال إلى أدنى مستويات التفكير النظري، لأنّها لم تتعرّض إلى الجانب المنهجي ولا إلى الآليات المتعلّقة به ولا الأدوات اللاّزمة إلى ذلك، ومع ذلك فيمكن أن نلتمس **طرائق الترجمة الحديثة**، في طريقتين استنبطهما" صلاح الدين الصفدي" من التراث العربي، إذْ تتمثل **الطريقة الأولى** في ترجمة كل كلمة مفردة بكلمة أخرى دون مراعاة سياقها ولا بعلاقاتها البنيوية مع الكلمات الأخرى في النظام اللّغوي، وكان هذا "طريق يوحنا بن البطريق وابن نعامة الحمصي وفرقتهما، وذلك أنهم كانوا ينظرون إلى كلّ لفظة مفردة من الكلمات اليونانية أو غيرها من اللّغات الأخرى وما تدلّ عليه من

معنى، فيأتون بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها في الدّلالة على ذلك المعنى، فيضعونها في مكانها ثم ينتقلون إلى غيرها، وهكذا حتى ينتهي نقل الكتاب على هذه الصّورة"، وهذا ما يسمّى **بطريقة الترجمة الحرفية** حديثا، وهذه الطريقة قد لا تحقّق ترجمة سليمة، لأنّ لكل لغة نظامها اللّغوي الخاص بها، فلذلك يستحيل على المترجم الإحاطة بكل مفردات اللّغة المصدر مع ما يقابلها في اللّغة الهدف، وترجمة مفردة بمفردة دون النّظر إلى سياقها.

في حين تتمثّل **الطريقة الثانية**، التي اعتمدها العربي في الترجمة، فيما نهجه، "حنين ابن إسحاق والعباس بن سعيد الجوهري، مولى المأمون، وغيرهما ممن نحا نحوهما، وذلك أن يقرأ الناقل جملة الكلام فيحصّل مفادها في ذهنه ويُعبّر عنها من اللّغة العربية بجملة تطابقها، سواءً ساوت الألفاظ أم خالفتها".

وهذه الطريقة هي الأقرب للترجمة السّليمة لأنّها تقوم على فهم المعنى أوّلا أيْ المضمون والمحتوى بما فيها من الأفكار، دون ترجمة كل كلمة بمفردها منعزلة عن سياقها، فهي عكس الترجمة الحرفية، وهو ما يُطلق عليه **بالترجمة بالمعنى**، حيث "تواجه النص المصدر بتقطيعه إلى وحدات انطلاقا من شبكة المفاهيم المحدّدة لهيكله، ويتمثّل هدف الترجمة بالمعنى في نقل الهيكل الدّلالي للنّص عبر شبكة المفاهيم التي تشكّله".

1.3الترجمة عند الغرب

لقد جاء في معجم اللّسانيات معنى الفعل "ترجم" (traduire) بمعنى: "التعبير في لغة أخرى (وهي اللّغة الهدف) عمّا جاء في اللّغة المصدر، مع الحفاظ على المكافئات الدّلالية والأسلوبية".

أما مصطلح "الترجمة (traduction) فيعرّفه بأنّه: "نقل رسالة من لغة المصدر إلى لغة الهدف وتطلق على الفعل ونتاجه (...)، ترتبط بالنصوص المكتوبة، وإذا تعلّق الأمر بنقل شفوي فيُطلق عليها ترجمة شفهية"، ففي هذا التعريف تمّ التركيز على النّص المكتوب، أين تظهر فيه عناصر الترجمة الكتابية والتّمييز بين أنواعها وضبط مصطلحاتها.

كما ذهب آخرون في تعريفهم للترجمة بأنّها: "حرفة تتكون من محاولة استبدال رسالة أو تصريح مكتوب بلغة ما برسالة أو تصريح بلغة أخرى، وفي كل مرّة نترجم فيها يحدث ضياع شيء من المعنى نتيجة لعوامل عدّة، فالترجمة تخلق توترا مستمرا، أي جوا للمناظرة بناءً على متطلبات كلّ من اللّغتين".

فالترجمة هي "استبدال تمثيل نص في لغة بتمثيل نص مكافئ في لغة ثانية"[1]، فاستبدال نص في لغة ما بنص مكافئ في لغة أخرى هو الذي يحقّق مفهوم الترجمة، ولكن مع ضرورة الإبقاء على المعنى المنشود في اللّغة المصدر نفسه وإعادة التعبير عنه في اللّغة الهدف، لأنّ عملية الترجمة تنقسم إلى قسمين: فهم المعنى والتعبير عنه، فمحاولة الإبقاء على المعنى نفسه هو الذي يشكّل صعوبة الترجمة، وهذا ما يتطلّب براعة المترجم وذلك بإتقانه للغتي: المصدر والهدف ليس فقط من حيث التركيب والدّلالة، بل وحتّى من حيث المكوّنات الثقافية لكلّ منهما.

فمهما تعدّدت التعاريف وتباينت لدى الباحثين (العرب أو الغرب)، إلاّ أنّها تنصب في مفهوم واحد، هو كون الترجمة عملية نقل الخطاب سواءً كان مكتوبا أم شفهيا، من اللّغة المصدر إلى اللّغة الهدف، مع الحفاظ على المعنى الأصلي وإعادة التعبير عنه وصياغته، وهذا ما يتطلّب من المترجم الفهم الدّقيق للنص المصدر والإحاطة بكلّ جوانبه حتّى يحافظ على الشحنة الثقافية نفسها التي يقصدها المؤلّف الأصلي.

---

[1]- روجر-ت-بيل، الترجمة وعملياتها-النظرية والتطبيق-، تر: محي الدين حميدي، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 2001، ص43.